ميثولوجيا التضحية والفداء عند الآلهات الإناث في حضارتي العراق القديم ومصر القديمة (عشتار وايزيس إنموذجاً)

م.م. نـور خضيـر بـدر
المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الكرخ / الاولى
وزارة التربية – العراق
noor.khudair80@gmail.com

الملخص:

مما لا شك فيه، ان حضارتي وادي الرافدين والمتمثلة بالعراق ووادي النيل المتمثلة بمصر كانت إنموذجاً راقياً في أصالة معتقداتها الدينية عبر عصورها وحقبها التاريخية الموغلة في القدم، فكانت لهاتين الحضارتين معتقدات اتصفت بالنضج والتكامل. وقد شغلت الاساطير ومعتقدات الخلق والنشوء والتكوين والموت والبعث حيزاً كبيراً في العقيدة الدينية لتلك الحضارتين العريقتين، يضاف الى ذلك ان كلا العراقيين والمصريين القدماء كانوا متدينين بالفطرة وكان للدين دور مكثف في حياتهم اليومية مما ساهم في انتاج عدد غزير من الآلهة والتي ارتبطت بعدد من الاساطير والتي لم تستثنِ الآلهات المؤنثة منها، فكان لهنّ دور جوهري ومحوري في صياغة تلك الاساطير والتي كان اشهرها اسطورة الإله تموز والإلهة عشتار في الديانة البابلية، يقابلها الاسطورة الأوزيرية ممثلة بالإله اوزيريس والإلهة ايزيس في الديانة الفرعونية، حيث كان لكلا الإلهتين، عشتار وايزيس، الحظ الاوفر في بلورة تلك الاسطورتين وما تمخض عنها من قيم للتضحية ومعاني للفداء والإيثار والتي جعلت منهما احدى اهم الملاحم في التاريخ القديم واللتان سيتناولهما بحثنا هذا مع تحديد امكانية التأثر والتأثير واحتماليات التداخل فيما بينهما. ان ما تمخض عنه بحثنا هذا هو التشابه الكبير في جوهر الاسطورتين والهدف السامي الذي سعت كلاً من عشتار وايزيس في تحقيقه مع ابراز أهمية السبق الذي حققته الاسطورة البابلية كونها الاقدم تاريخياً وان كانت الاسطورة الاوزيرية قد حققت شهرة وانتشاراً اعظم من نظيرتها البابلية.

الكلمات المفتاحية:(ميثولوجيا، الآلهات الإناث،العراق القديم، مصر القديمة، عشتار، ايزيس).

Mythology of Sacrifice and Redemption for Female Gods In the Civilizations of Ancient Iraq and Ancient Egypt (Ishtar and Isis as a model)

Assist. Lect. Noor Khudair Bedr
General Directorate for Education in Baghdad Al-Karkh/1
Ministry of Education – Iraq
Email: noor.khudair80@gmail.com

ABSTRACT

Undoubtedly, the two Mesopotamian civilizations represented by Iraq and the Nile Valley represented by Egypt were a fine example in the authenticity of their religious beliefs throughout their ancient eras and historical eras, so these two civilizations had beliefs that were characterized by maturity and integration. The myths and beliefs of creation, evolution, formation, death, and resurrection occupied a large place in the religious doctrine of these two ancient civilizations, in addition to that both the ancient Iraqis and Egyptians were religious by nature and religion had an intense role in their daily life, which contributed to the production of a large number of deities, which were associated with a number of myths and Feminine deities were not excluded from them, so they had a fundamental and pivotal role in formulating these myths, the most famous of which was the myth of the god Tammuz and the goddess Ishtar in the Babylonian religion. The crystallization of those two myths and the values that resulted from them in terms of sacrifice and meanings for redemption and altruism, which made them one of the most important epics in ancient history, which will be discussed in this discussion with the determination of the possibility of influence and influence and the possibilities of overlap between them. What emerged from our research is the great similarity in the essence of the two myths and the lofty goal that both Ishtar and Isis sought to achieve while highlighting the importance of the precedence achieved by the Babylonian myth as it is the oldest historically, even though the Osirian myth has achieved greater fame and spread than its Babylonian counterpart.

Keywords: mythology, female gods, ancient Iraq, ancient Egypt, Ishtar, Isis.

المبحث الأول
سمات العقيدة الدينية في العراق ومصر القديمين

إن العقيدة الدينية قديمة في وجودها قدم الإنسان نفسه، ولكن من الصعب تحديد البدايات لهذه العقيدة الدينية من حيث الزمان والمكان، ولكن يمكن القول إن الإيمان بالدين وجد في مناطق عديدة من العالم وبين أقدم الجماعات البشرية التي عثر عليها المنقبون والانثروبولوجيون في مواقع استيطانهم، وعلى مخلفاتهم التي لها علاقة بالدين والعقيدة الدينية(١)، كما إن نشأة المعتقدات الدينية في العصور التاريخية تستند على أسباب منطقية، إلاّ إن ذلك وحده ليس كافياً ما لم تكن طبيعة الديانة تنسجم وطبيعة الإنسان نفسه والظروف المحيطة به(٢).

فرغم ان كلا الديانتين، العراقية والمصرية القديمة تأثرت بعوامل الطبيعة والجغرافيا والبيئة، فقد كانتا ايضاً ذواتا توجه واحد عندما جمعا بين تعدد الالهة والعدد الوفير منها وكذلك في الجمع بين المتناقضات، ففي الديانة البابلية كانت المتناقضات وعدم التماسك والتقلبات المستمرة من اغرب المظاهر التي تبرز فيها، كما امتاز مجمع الآلهة البابلي الذي ضم هذه العقيدة بأنه، ولأسباب عديدة، كان مليئا بالعبادات المتناقضة، وتكرار الصفات التي نسبها إلى الآلهة، في حين ان الإنسان الرافديني القديم كان متديناً، لأن الدين كان يقدم نفسه في حدود المستوى الذي كان عليه التطور المادي في بلاد الرافدين، إذ إنه مثّل آنذاك انعكاساً خيالياً داخل الوعي الاجتماعي لعلاقات الناس فيما بينهم بصفة عامة، وعلاقاتهم مع الطبيعة بصفة خاصة، فكان هذا الإنسان يعيش في حالة من الترابط

(١) أكرم محمد الكسار، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد– كلية الآداب، ١٩٨٢، ص ١٧.

(٢) أندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٧، ص ١١٢.

مع الطبيعة، وبقي هذا الشعور يلازمه طوال الفترة التي حافظ فيها المجتمع على تماسكه الثقافي، وبقي هذا الشعور حياً بالرغم من تطور أحوال الحياة المدنية(١).

والدارس للعراق القديم يدرك مبكراً ان العراقيين القدامى هم قوم اعتقاديون منذ الأزل، وان حضارتهم القديمة تعد من الحضارات الأصيلة الأولى التي تضمنت انجازات حضارية وأفكار أساسية تميزت بها، وقد تأثرت بها الأمم الأخرى، وان المعتقدات الدينية في هذه الحضارة العريقة تظهر واضحة المعالم في كل تصرفات من عاش على هذه الأرض، فقد أدّى الدين أدواراً مهمة في حياة من سكن هذه المساحة وأثر في كل جانب من جوانب حياتهم، وكان الدين في العراق ومنذ بداية العصور التاريخية يتصف بالنضج حتى اتخذت لكل عنصر من عناصر الطبيعة والحياة إله خاص ومتميز، وهذا بطبعه نوع من التحول الفكري الذي يتميز بالتطور الحضاري، لذلك اصبح المعتقد محركاً لمد جسور التواصل بينه وبين الانسان الذي يعتنقه او يتبناه(٢).

اما في وادي النيل، فلقد كان الدين في مصر القديمة يعلو كل شيء، وهذا ما نراه في نظام الحكم والفن والعمارة والأدب، مما يقودنا الى حقيقة مهمة، وهي : أنه لم يكن هناك بين شعوب الأرض في العصور القديمة من هم أكثر تديناً من قدماء المصريين(٣). فقد لعب الدين دوراً محورياً في حياة المصريين على مر تاريخهم، ولعل من الصعب أن نفسر كثيراً من احداث التاريخي الهامة في حياة المصري القديم في غياب الدين(٤). لذلك كان من البديهي ان تكون قضية تفسير العالم بطبيعته وظواهره، أضافة الى أصل ووجود الأنسان، قد شغلت الانسان المصري القديم ومنذ العصور الحجرية، والتي انهمك فيها

(١) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص ٤٣.

(٢) صالح جبر القريشي، التفسير الديني في المعتقدات العراقية والمصرية القديمة، كلية العلوم الاسلامية، جامعة كربلاء، دت، ص ٢.

(٣) ماريو توسي وكارلو ريو ردا، معجم آلهة مصر القديمة، ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد، مراجعة: محمود ماهر طه، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٥.

(٤) بثينة ابراهيم مرسي، تطور الديانة المصرية القديمة من خلال لوحات النذور والهبات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ص٧.

المصري القديم في التأمل وتتبع كل ما يدور في بيئته، وفي ايجاد التفاسير لكل ما يجري من ظواهر طبيعية وكونية ومحاولته في ايجاد القوى الغيبية التي تقف وراء هذه الظواهر المختلفة والتي ادرك فيها انها تفوق قدرته كإنسان(١).

وربما يكون الوصف الذي اطلقه هيرودوتس(٢)، هو ابلغ تعبير عن دور الدين في حياة المصري منذ القِدم، حيث قال: "أن المصريين من أشد البشر تدينا، ولا يعرف شعب بلغ في التقوى درجتهم فيها، فأن صورهم بجملتها تمثل اناسا يصلون امام رب وكتبهم على الجملة أسفارُ عبادة وتنسُّك"(٣). بل ان هيرودوتس نفسه ربما ذهب أبعد من ذلك حين وصف المصريين بأنهم (أكثر دقة في التدين)(٤)، قاصداً بذلك حرصهم الشديد، حتى في العادي من اعمالهم، على العمل بموجبات دستور العادات والمحرمات الذي سنته تقواهم

(١) صقر محمد سند، الديانة المصرية القديمة، بحث غير منشور، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠١٢م، ص٦.

(٢) هيرودوتس أو هيرودوت، كاتب اغريقي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكتب ما يمكن أن نسميه أول كتاب في التاريخ، ولهذا استحق ان يلقب بـ (ابي التاريخ). و ما يميز هيرودوت عن غيره من المؤرخين هو اهتمامه بتسجيل الوقائع الحقيقية والابتعاد عن الخرافات والاساطير التي كان غيره يسجلها كأحداث تاريخية، حيث يحتوي تاريخ هيرودوت على مناقشات قيمة وحية حول العادات والتقاليد والجغرافيا وتاريخ شعوب البحر المتوسط، وخصوصا المصريين الذين اعجب ببلادهم وسماها (هبة النيل)، كما واعتمد في كتاباته اسلوب التشويق والإثارة خاصة عندما كان يكتب عن تاريخ اليونان في القرن السادس قبل الميلاد. (ينظر: هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبدالاله الملاح، مراجعة: احمد السقاف و حمد بن صراي، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠١م، ص ٢٠-٢٣.).

(٣) شارل سنيوبوس ، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، ط١، الدار العالمية للكتب والنشر، مصر، ٢٠١٢م، ص ١٦.

(4) Wallis Budge, The Gods of The Egyptians, Volume I., Methuen & Co., London, 1904, p 1.

المُلزمة[١]. لذلك يمكن القول ان المصريين كجنس كانوا دينيين بالفطرة وربطوا كل شيء حولهم بالدين[٢].

وهكذا، فكلا الحضارتين قد تأثرت معتقداتهم بالطبيعة ومظاهرها وتأثيراتها، فالخوف الذي كان يسيطر على العراقي القديم وهو يواجه قوى الطبيعة، ساهم في دفعه نحو ابتكار الآلهة وعبادته لها، ليجد فيها ملجأ يزيل عنه هذا الخوف، إذ إن ذهنية حضارة بلاد الرافدين كانت تعكس هذا الخوف والقلق، وإن كل هذا قاد به إلى إيجاد الآلهة لتكون تعبيراً عن قوى الطبيعة التي يخاف منها، وإن قلقه المتزايد نحو العالم الآخر قد زاد من هذا الخوف، إذ كان يرى إن الموت أمر مقرر ذلك (أن الآلهة منذ أن خلقت الإنسان، كانت قد جعلت الموت حظاً له، وإن الحياة بقيت بيد الآلهة هذه)، وهذا النص المأخوذ من (ملحمة جلجامش) يكشف عن مدى استسلام العراقي القديم لقبول الموت كأمر مسلمٍ به[٣].

بينما في مصر القديمة، فد نشأت الديانة في مصر في عصر ما قبل الأسرات[٤] من تصورات الأنسان الساذجة والغامضة عن العالم المحيط به نتيجة لضعفه وعجزه عن تفسير ظواهر الطبيعة في ظروف تخلفه الاقتصادي والاجتماعي في مرحلة النظام العشائري – القبلي، حيث لم يكن للمصريين دين واحد، كما لم تكن هناك وحدة زمانية أو مكانية للمعتقدات، لأن الآلهة والأساطير كانت تختلف من قبيلة لقبيلة ومن مقاطعة

---

(١) أندريه ايمار و جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديمة، ط٢، منشورات عويدات للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٨٤.

(2) Bothwell Gosse, The Civilization of The Ancient Egyptians, T. C. & E. C. Jack Ltd., London, without date, p 127.

(٣) جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، مركز الإنماء الحضاري للنشر، حلب، ٢٠٠٥، ص ٧٨.

(٤) مصر في عصر ما قبل الأسرات، هي مصر في الفترة ما بين بدايات الاستيطان البشري في مصر وحتى بداية عهد الأسر حوالي عام ٣١٠٠ قبل الميلاد. (ينظر: سير و.م. فلندرز بترى، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة: حسن محمد جوهر و عبدالمنعم عبدالحميد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م، ص٨).

لأخرى حتى أخذت تصورات المصريين القدماء تتطور في سياق النشاط العملي والنضال ضد الطبيعة[١]، فقد عكست ديانة المصريين القدماء بشكل أو بآخر الطبيعة المحيطة بهم وجميع أوجه نشاطهم والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. وأياً كان الأمر، فأن للديانة المصرية أهمية كبرى في فهم حضارتها، لذلك لابد أن نعيرها الأهمية التي تستحقها[٢].

وهكذا تبلورت بدايات الفكر الديني للمصريين القدامى، عندما بدأوا يتأملون قدوم الفيضانات والجفاف ولاحظوا البرق والرعد وسقوط الامطار وتتبع خروج النباتات من الارض ونموها حتى اثمارها، فأدركوا للمرة الأولى من خلال ذلك بوجود قوى مؤثرة ومسيّرة للكون والبيئة. ومن هنا بدأ التفكير من جديد في ماهية هذه القوى وكيفية تصورها، وما اذا كانت خيّرة ونافعة (فهي تجلب الفيضان والامطار وتنبت الزرع) او كانت شريرة ومضرة (فهي تُحدث الجفاف والبرق والرعد) فأختلط احساس المصري القديم بين الرغبة في المعرفة والتأمل وبين الخوف والحذر[٣].

فكان لهذه البداية في فهم وادراك المحيط البيئي للمصري القديم أن جعلته يتجه الى ايجاد كيانات ملموسة بدلا من التفسير الغيبي للظواهر، فأخذ يتقرب الى السماء والشمس والقمر والنجوم والتي كانت تمثل روح الخير له، وفي ذات الوقت كان تقربه لظواهر اخرى مثل البرق والرعد التي تحمل خوفاً وضرراً له وذلك أملاً في دفع الضرر، فهنا كانت بدايات الايمان في الاقدار سواء كانت خيراً أم شراً[٤].

اما السمة الاخرى التي اتسمت بها وتشابهت بها كلتا الديانتين فهي التعددية في العبادات ووفرة المعبودات، حيث ذكرت المدونات المسمارية القديمة أن ديانة بلاد ما بين النهرين

(١) برهان الدين دلّو، حضارة مصر والعراق، الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٧٤.

(٢) نور الدين حاطوم ونور الدين بن محمد اديب، موجز تاريخ الحضارة، د. مط، مصر، ١٩٦٤م، ج١، ص ١٢٠.

(٣) مهاب درويش، الفكر الديني في مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، د. ت، ص ٢.

(٤) مهاب درويش، الفكر الديني...، ص٣.

كانت تؤمن بشكل مطلق بنظرية تعدد الآلهة، فكان العراقيون القدماء غالبا ما يضعون الآلهة في هيئة إنسان أعظم بُنيةً وأفر قوة وذكاءاً وقدرةً، يميزوها عن البشر بهبة الخلود والابدية، حيث كانت فكرة التعددية هي السائدة، فالآلهة كانت كبيرة العدد جداً ولكل إله صفاته ووظيفته الخاصة، وكانت أغلبية هؤلاء الآلهة ذات أسماء سومرية، اما العدد القليل جداً منها كانت لها أسماء سامية أكدية، ويستدل من هذا العدد الكبير من الآلهة ذات الأسماء السومرية على ان مجموعة الآلهة الأكثر قدما في هذه البلاد قد اتخذها على الأكثر السومريون، وقد أخذ الأكديون فكرة الآلهة بأنها ليس فقط على غرار الصورة البشرية بل أيضاً فيها صفات بشرية بحتة من مميزات وعيوب، في حين كان الاكديون ينظرون إلى الآلهة بالمزيد من الورع والاحترام، وبشعور حقيقي بسموهم وتجردهم(١).

اما في الديانة الفرعونية، فقلما شهدت مصر الها واحداً، بل الطابع الديني المميز لها في تعدد الالهة وتعدد الولاءات لها، ومما يلاحظ في هذا المجال بأن مصر شهدت طبقية في العبادة، فبعض الالهة خصصت للطبقات الخاصة بينما خصصت الهة اخرى للطبقات العامة، بالإضافة الى وجود الهة حيوانية وطبيعية كالشمس والقمر والنيل او كالأفعى او الفيل او البقرة وهي من الالهة المرتبطة باستمرار الحياة على غرار ما شهدته بعض المناطق الشرق الادنى من عبادات، وقد وجدت تماثيل تؤكد صحة هذا القول وذلك لارتباطها باستمرار الحياة كآلهة الخصوبة(٢).

كما ولجأ المصريون القدماء الى توزيعهم آلهتهم الى مثلثات، وقد تختلف المناطق على تصنيفها او على تعيين الاله الرئيسي لها، كما وانهم قد درجوا باستمرار على ان ينسبوا للآلهة ما يتميز به الانسان من شهوة للأكل وعاطفة وذكاء وافكار، ويكيفوهم على صورتهم ادبياً وروحياً ان لم يكن ماديا ايضا، ووضعوهم على شكل اسري على النحو البشري لاسيما المثلث الذي قوامه أب وأم وابن، حتى اصبح الواقع الديني المصري

(١) انيس فريحة، دراسات في التاريخ، جروس برس، لبنان، ١٩٩١.، ص٤٥.

(٢) حسان حلاق، ملامح من تاريخ الحضارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٦.

السحيق يتمثل بعدد لا يحصى من الالهة المحليين الذين ينظر اليهم كأسياد منطقة معينة[١]، وهذا الامر ينطبق تماماً على آلهة حضارة وادي الرافدين عندما شكلت الثالوث المقدس الذي عمّت عبادته أرجاء البلاد جميعها ولعدة قرون وهم: (أنو) إله السماء، والذي لقب أبو الآلهة وترأس مجمع الآلهة السومري طوال عهدهم السياسي ومعبده في مدينة الوركاء، و(أنليل) وهو إله الرياح العاصفة ومسبب الفيضان، و(أنكي) إله المياه والأرض وإله الحضارة ولقب ملك الإلهة، وهؤلاء الثلاث هم الذين يقتسمون حكم الكون بينهم، ويأتي من بعدهم الآلهة الأخرى ويمثلون الثالوث الثاني ويعتبرون أبناء الإلهة الثلاثة في الثالوث الأول.

اما فكرة الخير والشر، ففي كلا الديانتين تأسست على الظواهر البيئية والطبيعية، فقد جعلت الناس تنتقل الى مرحلة تقديس بعض الحيوانات والطيور، فبينما كرّس فكرة الشر على البعض من الحيوانات مثل الاسد وابن آوى والصقر والثعبان والتماسيح، في حين أظهر اعجاباً وتقديراً لبعضها، كالنسور والصقور التي تستطيع ان تحلق بعيداً في السماء، حيث كان ذلك بداية فكرة التقديس وخطوة اساسية لرسوخ العقائد الدينية في مصر القديمة والتي تكاملت صورتها حين بدأ المصري في أداء التقدمات من القرابين الى ما قدسه من الصور الحية لهذه الظواهر أو الكائنات والتي اخذت تصاحبها بعض الحركات والرقصات لتكون النواة الأولى لما عرف بعد ذلك من طقوس وشعائر العبادة[٢]، بينما في العراق القديم قام الناس بعبادة رموز اعتقدوا انها تنظم الكون، فاتخذوا بعضها للخير وسموه اله النور وسموا الاخر الذي يقابله بإله الظلام ممثلاً بالشر.

من ذلك يمكن ان نستنتج ان الديانة البابلية والديانة الفرعونية قد اشتركتا بالعديد من السمات والمزايا، فكلا الأمّتين كَانتا ذواتا ولاءٍ ومراعاة للجوانب الدينية في كل مفاصل حياتهم اضافة الى الرغبة بتعددَ آلهتِهم[٣]، رغم ان المصريون القدماء بقوا محافظين على

(١) أندريه ايمار و جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات...، ص ٨٨.

(٢) مهاب درويش، الفكر الديني...، ص ٣.

(3) Wallis Budge, The Gods of The Egyptians, …., p 4.

المبادئ والأطر الأساسية للعقيدة الدينية القديمة الخاصة بهم، رغم ما اضافوه عليها من معتقدات جديدة نتيجة للتطور الطبيعي الذي مرّوا به ونتيجة ايضاً للظروف الاخرى والتقلبات التي عانوا منها سواء كانت فكرية ام طبيعية[١]، على عكس العراقيين القدماء، فقد بقيت الديانتين عبارة عن مزيج مختلط من عدة تيارات لاهوتية وبقيت تتأثر في الاوضاع السياسية المحيطة بها، بالإضافة لعدم وجود سلطة حقيقية ومطلقة تسيطر على النشاط الديني والعقائدي يمكن لها ان تُخضع كل العقائد وتوحدها في إطار فكري متكامل لكي يتم فرضه على كل مفاصل الحياة ، فلم يكن هناك طابع واحد مميز ولم تكن تصطبغ أي من الديانتين بصبغة مذهبية واحدة او عقيدة خالصة لمعبود ما، بل كانت دوماً تجمع ما بين العبادات والظواهر الطبيعية والظروف الحياتية مع الطقوس، حتى بات من الصعب توقع ومعرفة خصائص ومزايا الحياة القديمة بجانبها الفكري والثقافي والروحي والعقائدي بسبب عدم ثبات العبادات والضبابية التي كانت تعتري معالم المشهد الديني لكل عقيدة ولكل معبود ولكل مدينة فنشأت الاساطير والقصص في كلا المشهدين وحاول الكهّان بشكل او بآخر في جرّ الناس الى هذا الإله او ذاك، والى هذا المعبد او ذاك، طمعاً في النفوذ والسلطة والثروة.

فلم تقتصر الديانة في وادي الرافدين او في وادي النيل على العبادة والطقوس الدينية فقط، وإنما شهدت ولادة فلسفة جديدة عكست وجود شعوب متحضرة وراقية لها فلسفتها ورؤيتها الخاصة ونظريتها في خلق الكون والإنسان والعالم، وهذه القصص أو الملاحم سميت ميثولوجيا باسم (الأساطير)، والتي تقسم مبدئياً إلى ثلاث أنواع، وهي أساطير أصل الوجود والخلق والتكوين والكائنات، وأساطير تنظيم الكون والحياة، وأساطير التقييم والتشريع، فظهرت أسطورة الإلهة عشتار لقصة بطلاها إلهة وإله هما إينانا (عشتار) ودموزي (تموز)، واللذان انعكست أحداث حبهما على الأرض لتشكّل الربيع وبقية الفصول، بينما ظهرت في مصر نظريات الخلق الاربعة والتي كانت اشهرها نظرية الخلق

(1) Barbara Mertz, Temples, Tombs and Hieroglyphs: A Brief History of Ancient Egypt, London, 1964, p. 123 .

في هليوبوليس والتي ارتكزت على تاسوع الهي كان احد اركانه هي الاسطورة الاوزيرية والتي ستشكل محور بحثنا، غير اننا سنبحث في جانب واحد منها فقط هو الدور الذي لعبته الالهة عشتار في العراق القديم وتضحيتها بالهبوط الى العالم السفلي لتكون اول ملحمة خطتها يد الانسان، يقابلها ما قامت به وانجزته الإلهة ايزيس لزوجها اوزيريس في العقيدة الدينية المصرية القديمة لتكون كلا الاسطورتين اول تجسيد لمعنى موحد وشامل هو (الإله الفادي).

المبحث الثاني
الإلهة عشتار والهبوط الاسطوري الى العالم السفلي

لا يمكن الحديث عن العراق القديم وعن حضاراته ومعتقداته ومجتمعه من دون الحديث عن (عشتار) او(عينانا) وحبيبها (تموز) او (دموزي)، حيث ان هاتين الشخصيتين ليستا كما قد يتصور البعض مجرد شخصيتين اسطوريتين فحسب، بل هما الشخصيتان الاساسيتان في الديانة العراقية القديمة. وفي بحثنا هذا قد لا نبحث عن معنى اسم عشتار ولا عن ماهيته، فهذه محاولة قد قام بها الكثيرون، وكانت النتيجة اقل بكثير من الجهد، اذ اننا سنتعرف ما المقصود من هذه المقطعين (ايش– تار) ومن المؤكد انها كلمة مختصرة تعبر عن احدى مظاهر الشخصية، اذ ان لإسم عشتار علاقة اشتقاقية بينه وبين كلمة (Astare) (في السنسكريتية ستار Stare في اليونانية Aster)، حيث من الثابت ان الاسم ينطبق تماماً عن الربّة عشتار والمتجسدة في كوكب الزهرة (Venus)، ولكن من يستطيع ان يؤكد هذا هو الانطباع القديم للربّة او يمكن ان يقول ان عشتار كانت تتجسد بالكوكب هذا ثم تنزل بعد ذلك من عليائها الى الارض لتشترك في حياة العالم ولاسيما في حياة البشر فتشرف على غرامياتهم ومعاركهم، كما ولم تكن تشبه كوكب الزهرة فحسب بل كانت متجسدة فيه وكان لها جسم انساني فهي كانت الحياة المتجسدة او المتألِّهة[١].

(١) شارل فيروللو، اساطير بابل وكنعان، تعريب: ماجد خيربك، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩٠م، ص ص٣١–٣٢.

كانت عشتار في ديانة قدماء العراقيين هي الهة الخصب وكانت تعرف عند السومريين باسم (انانا) وعرف زوجها اله الخضار والماشية دموزي او تموز، وسوف نستخدم كلمة عشتار وتموز لشيوعها على الرغم من ان المعتقدات والطقوس الخاصة بهذين الالهيين ترجع الى جذور سومرية، كما ان الاله تموز كان ملك من ملوك سلالة الوركاء(١).

ان ابرز الصفات التي اشتهرت بها عشتار في كل الازمان هي كونها الهة الجمال والحب ولقبت ايضا بإلهة الحرب وسيدة المعركة وهنا تناقض في صفتها الاولى الرئيسية التي هي الهة للحب وبين كونها الهة للحرب وليس هناك تفسير لهذا التناقض، فبعض الباحثين يرى في ذلك تبلور لفكرة مفادها ان عشتار كانت على صلة بحياة الإنسان سواء عندما تفنى في خضم المعركة او عندما تخلق في لهيب العاطفة (٢).

اشتهرت اسطورة هبوط الإلهة عشتار الى العالم السفلي بين شعوب العالم وقد وردت نسختان من اسطورة الهبوط، وهما النسخة البابلية الاكادية (هبوط عشتار الى العالم الاسفل) والنسخة السومرية (هبوط انانا الى العالم الاسفل) وقد تتماهى النسختان في بعض، وتبدو فيهما عشتار وقد هجرت كرسيها السماوي ونزلت الى العالم الذي تهبط اليه الارواح بعد موت الاجساد حيث تختلف النسختان في النزول وتتفقان في الرحيل من حيث قوى الخصب والتجدد في الطبيعة(٣).

تذكر الأسطورة في احد جوانبها ان عشتار كانت ذات جمال باهر لم يشهد له مثيل، ولم يكن اهل الارض بعيدين عن ذلك العشق، فكانت عشتار تدور بين عالم البشر بحثاً عن الضحايا حتى وصلت الى ملوك البشر وكانت تأخذ كل ما يملكون وتعدهم بالزواج حتى اذا ما اخذت اعز ما يملكون تركتهم وهم يبكونها ليلاً ونهاراً، وبيوم وصلت عشتار الى راعي الاغنام فذهله جمالها واغوته عيون الفتاة فقام بذبح شاة لها حتى تبقى معه لأطول

(١) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩م، ص٩.

(٢) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز،...،ص٣٦.

(٣) نادية زياد محمد سلمان، تجليات عشتار في الشعر الجاهلي، اطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٥م، ص٣٩.

زمن ممكن فأخذت تأكل عشتار ثم رحلت وفي اليوم التالي ذبح لها، والثالث فعل نفس الشيء حتى لم يبق لدى الراعي شيء يقدمه لعشتار فسألها البقاء لكنها رفضت وقالت انه لا يملك شيء يغريها بالبقاء معه فقام الراعي بسرقة شاة واخذ يبحث عن عشتار ليقدم لها ما سرق ومن يومها اصبح الراعي ذئباً يسرق من الرعاة على امل ان تعود عشتار لتجلس معه(١).

تتركز فحوى اسطورة عشتار في ان الالهة هيأوا في احد الأيام وليمة كبرى فأرسلوا رسولاً الى اختهم (ايرشكال) وهي إلهة العالم الأسفل واوصوا ان يقول لها (لما كنا لا نستطيع ان ننزل إليك وانت لا تستطيعين إن تصعدي إلينا، ابعثي إلينا من يحمل حصتك فبعثت ايرشكال وزيرها نمتار (Namtar) وصعد الى السماء حيث اجتمع الالهة العظام في وليمتهم فرحبوا به ونهضوا اجلالاً وتكريما لأختهم، لكن الاله (نرجال) لم يفعل ذلك فعاد الرسول الى ملكته وقصّ عليها الحدث، وبعدها بعثت به مرة اخرى الى مجمع الآلهة ليحضر لها هذا الاله الذي لم يقف اجلالاً حتى تودِعه في عالم الاموات)، وبعد انخرام جملة سطور في هذا النص نجد الالهة يُكرهون نرجال على الرضوخ الى طلب ايرشكال فيأخذ به رسولها الى عالم ما بعد الموت، وبعد ان اجتاز ابوابه السبعة ووصل الى قصر ايرشكال وحدث مالم يكن متوقعاً اذ ان نرجال بدلا من ان يعتذر لها ويستعطفها هجم عليها وأمسك بها من شعرها وانزلها من عرشها وجرها على الأرض فتخاذلت ايرشكال واستعطفته قائلة (لا تقتلني يا اخي، ودعني اقول لك كلمة، كن زوجي واكون زوجك وسأجعلك ملكاً على مملكة العالم الاسفل الواسعة) وهنا تبدل غضب نرجال الى هيام بها فقبلها وجفف دموعها وهكذا، صار زوجها وحكم معها ملكاً وإلهاً في عالم ما بعد الموت(٢).

(١) احمد محمد البربري، السماء في الفكر المصري القديم، ط١، الحضري للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٧٣.

(٢) طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦م، ص ص ٢٣٤-٢٣٥.

ان عنصر المجازفة والمخاطرة في اسطورتنا هنا يتركز حين قررت الآلهة عشتار زيارة العالم السفلي الذي يسكن فيه الأموات وهو عالم منفصل عن عالمنا، وذو قوانين خاصة به وتحكمه أخت الآلهة عشتار الكبرى الآلهة ايرشكال التي لا تحب اختها كما اسلفنا وعلى ما يبدو أن سبب الزيارة كان رغبة الآلهة عشتار في إطلاق سراح الأموات وإعادتهم إلى عالم الأحياء، حيث لم تتوقع الآلهة عشتار ما كان في انتظارها من مكائد اختها التي عرفت بالزيارة مقدماً، ولكن الآلهة عشتار كانت لديها شكوكها، رغم ذلك ذهبت الآلهة عشتار مرتدية تاجاً وملابس وحلي فاخرة إلى العالم السفلي الذي كانت له سبعة ابواب، حيث قام حارس الأبواب وبناء على أوامر الاخت الكبرى بتجريد الآلهة عشتار من بعض ملابسها عند عبورها كل باب حتى وصلت إلى اختها وهي عارية، فأمرت الأخت سبعة آلهة يعملون لديها بقتل الآلهة عشتار فوراً، وهذا ما حدث لتبدأ الكارثة، فبموت الآلهة عشتار توقفت الحياة لتوقف التزاوج، ولكن هناك بصيص امل لإنقاذ العالم من هذه المأساة، فعندما سمع الإله انكي بمصير عشتار وجد سبيلا للخلاص، عن طريق الاستعانة بخدمات آصوشونامر، أجمل فتى على الإطلاق، وأمره بالذهاب إلى العالم السفلي والإيقاع باخت الآلهة عشتار في حبه إلى درجة الذهول ويجعلها أن تقسم بعمل كل ما يريد، وبعد ذلك يطلب منها إعادة الآلهة عشتار إلى الحياة(١).

يمكننا اعتبار العناصر الأساسية لهذه الاسطورة بمثابة النمط الذي ستنهج عليه الأساطير الموازية لبقية الثقافات، فالأم الكبرى ترسل بابنها او (حبيبها) الى العالم الأسفل ثم تقضي الأيام في ندب وبكاء روحه الغائبة، وعندما لا يجدي البكاء تتهيأ للشروع في رحلة طويلة للبحث عنه وتخاطر بالنزول الى العالم الأسفل لاستعادته وتحريره من قبضة سيدة الموت، فتفلح في مهمتها وتستعيده الى الحياة من جديد الا ان عهده بالحياة في العالم الارضي لا يدوم طويلا ويهبط الى العالم الاسفل من جديد مبتدئاً دورة اخرى، حيث ان

(١) زيد خلدون جميل، اسطورة الآلهة تموز وعشتار الخالدة، بحث منشور، ٢٠١٥م، http://www.alquds.co.uk/?p=365617

هذه العناصر الاساسية المستمدة من نص الاسطورة ومن الطقوس المرتبطة بها ومجمل الإشارات الى موضوعها في نصوص اخرى ستظهر فيما بعد في اساطير متباعدة زمانياً ومكانياً بعضها سيظهر بشكل واضح بعضها الاخر بشكل رمز واشارة فمسؤولية انانا المباشرة في هبوط دموزي الى العالم الأسفل قد لا تظهر في الأساطير الأخرى الا تحت ستار كثيف من الرموز(١).

ان هبوط آلهة الانوثة والخصب عشتار الى العالم السفلي ، فيه الكثير من الالتباس والغموض فيما يخص مصير الإله تموز، لكن جميع التفسيرات تعتقد بان سبب مخاطرة النزول الى العالم الأسفل هدفه إنقاذ الإله تموز من الموت، لكن عالم الأثريات صموئيل نوح كرايمر و الذي يدين العراقيون له بالكثير لفضائله في اكتشاف كنوز مرتكزات آثارهم وأساطيرهم وطقوسهم الثقافية القديمة المخبئة تحت الارض، اكتشف رُقيمات جديدة أعطت تفسيراً جديداً منطقياً لسجن الاله تموز في العالم السفلي، وبالتالي اتضح تفسير الأسطورة وفهم سبب نزول الهة الانوثة الى هذا العالم، حيث اكدت هذه الرُقيمات التي كتبت في عام 1750 ق.م، على ان الالهة عشتار ربما كانت هي السبب في تسليم حبيبها الاله تموز الى شياطين العالم الاسفل، ولكنها كانت بدون شك سبباً في تحديها لقوانين عالم الظلام والموت، فرغم ان فكرة التضحية والفداء كانت شائعة في ديانات الشرق عموماً والشرق الادنى بخاصة، ومن اجل ان يتم الخصب لابد من قربان وتضحية، ولابد ان تكون هذه التضحية عظيمة ومقدسة، فجاء نزول عشتار بسبب غياب قوة الاخصاب الكونية عن الحياة، ولكي لا تبقى الى الابد في عالم الظلام والموت ذلك، بل جاهدت من أجل الرجوع الى الحياة، حتى نجحت اخيراً بعد كفاح مرير، فذاقت طعم الموت من أجل الانسان، ومن أجل خصب الطبيعة(٢).

---

(١) فراس السواح، لغز عشتار: الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٢٩٢.

(٢) فاضل سوداني، هبوط سيدة الانوثة الى العالم السفلي، بحث منشور، كوبنهاكن: http://www.mesopot.com/old/adad2/huboutsayadet.htm

وقد يعتبر البعض أن اسطورة عشتار قصة جميلة دفنت تحت تراب الماضي، وفي الواقع أنهم جزئياً على خطأ، فالقصة جميلة فعلا ولكنها حيّة، فقد أخذت بقية الشعوب كل تفصيل فيها لتكوين نسخها المحلية كونها كانت اول انموذج لأسطورة متكاملة تجسد فيها الحب والتضحية والصراع والمكيدة، فأسطورة الإله تموز والآلهة عشتار معنا وحولنا في الوقت الحاضر(١).

المبحث الثالث
الإلهة ايزيس والأسطورة الأوزيرية

كان هناك العديد من الآلهة والمعبودات التي حكمت مصر كآلهة رسمية للدولة، وهناك ايضاً عدد من الالهة والمعبودات التي ارتبطت عبر بعض الاساطير الدينية بالملكية الالهية وحكم الارباب، والتي انتقل الحكم منهم الى البشر خلال العصور التاريخية بعد ذلك، فنجد مثلا رع، وبتاح، وشو، ثم يليهم كل من اوزيريس، وست، وحور، وفي النهاية نجد كلا من جحوتي، وماعت، ثم تختتم هذه السلسلة بالمعبود (حور) في مظهر جديد ليختتم العشرة، ومنهما انتقل الحكم الى انصاف الالهة، فالملوك من البشر، في حين برز عدد من المعبودات بشكل خاص كأرباب رعاة الدولة والملكية عبر العصور المختلفة ، فتباينت وتبدلت مكانتهم وفقاً للأوضاع السياسية والدينية للبلاد، ومن هؤلاء حتحور، وحور، وست، ورع، واوزيريس، وايزيس، ومونتو، وآمون، وآمون– رع(٢)، حيث كان التعدد في العبادة وفي الآلهة هو السمة المميزة للديانة الفرعونية كما مرّ معنا، كما ولم يكن التعدد في الالهة وتشعبها في مصر القديمة قاصراً على تداخل وظائفها وادوارها فحسب، بل امتد ذلك الى ان كان من النادر ان يصور المعبود في صورة أو هيئة واحدة ثابتة، ولكن غالباً ما يتم تجسيد المعبود الواحد في أكثر من صورة، وكل منها تعطي تعبيراً قوياً

(١) زيد خلدون جميل، اسطورة الآلهة تموز وعشتار الخالدة، بحث منشور، ٢٠١٥م، http://www.alquds.co.uk/?p=365617

(٢) عبدالحليم نور الدين، الديانة المصرية القديمة، الجزء الأول (المعبودات)، ط٢، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٥.

عن طبيعة وحقيقة المعبود المرئي، وان اتسم ذلك التعبير بالمحدودية والنقص، وهذا النقص هو القاعدة في الصور المتعددة للمعبودات المصرية التي تشابه تعدد اسمائها، لأن الاسم ايضاً يمكن ان يعبر عن مظهر واحد فقط من الطبيعة المركبة للمعبود، وهذا التعدد في الاشكال والصور انعكس مردوده بالحيرة والصعوبة في تصوير المعبودات المصرية، وعلى ذلك فمن النادر ان يتقيد معبود هام بشكل أو مظهر واحد، حيث ان المعبودات الكبرى تتمتع بالثراء في مظاهرها وبما يتوافق مع نعتها بصفات تتطابق مع ذلك، ومن المعبودات التي تتمتع بالتعددية في الصور والهيئات – مثلاً – آمون رع، و مين، و جحوتي، و حتحور، وايزيس والتي ستكون محور مبحثنا ومرتكز الاسطورة الاوزيرية(١).

مما لا شك فيه أن الالهة ايزيس قد حظيت عبادتها بانتشار ليس له مثيل في مناطق كثيرة من العالم القديم، وامتدت هذه العبادة من الهند شرقاً الى جميع انحاء اوربا شمالا وما زالت بقايا معابدها المنتشرة في هذه المناطق اكبر دليل على ذلك(٢). تعتبر ايزيس هي ربة القمر والأمومة لدي قدماء المصريين، وكان يرمز لها بامرأة على حاجب جبين قرص القمر، وقد أصبحت إيزيس شخصية بارزة في مجموعة الآلهة المصرية بسبب أسطورة أوزيريس، حيث كانت إيزيس شقيقة ذلك الإله وزوجته، وقد تزوجت إيزيس من أوزيريس الذي جاب العالم مصلحاً، وعادلاً لبني البشر من خلال الموسيقى، والشعر والخطابة.

ربما كان اسم الآلهة ايزيس (Isis) يعني (المقعد) أو (العرش)، ويكتب بعلامة متشابهة لتلك التي تضعها على رأسها، وعلى ذلك فمن الممكن أن ايزيس في الاصل تجسيدا

(١) إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية، الوحدانية والتعدد، ترجمة: محمود ماهر و مصطفى ابو الخير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص ١٢٤–١٢٥.

(٢) جون بينز وآخرون، الديانة في مصر القديمة، ترجمة وتقديم: محمود طه ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١١.

للعرش، وكانت ذات معنى خاص بالنسبة للملك باعتبارها أمه الرمزية[١]. اما هيئتها فقد كانت ايزيس تحمل على رأسها قرنين عاليين على شكل قيثارة ويضمان قرص الشمس[٢]. كانت ايزيس زوجة لأوزيريس وأُماً لحورس[٣]، وكربّه من ربات الطبيعة، فقد كان لها محل في زورق الشمس يوم الخلق، كما ان نجاحها في اعادة احياء جسد زوجها بواسطة التلفظ بالصيغ السحرية جعلها تكتسب اسم (سيدة السحر)، بينما تجوالها بحثاً عن جسد زوجها، والأسى الذي كابدته في إنجاب طفلها وتربيته في مستنقعات البردي في الدلتا، والاضطهاد الذي تعرضت له على أيدي اعداء زوجها، كل هذا شكل الأهمية والمكانة البارزة التي اكتسبتها ايزيس في الحضارة المصرية القديمة[٤].

تعتبر الإلهة ايزيس ذات أصل سماوي، بينما ابنها كان يسمى باسم إله الشمس، وهذا انما يدل على ان ايزيس في الاصل وفي وقت ما كانت تعتبر الهة للسماء التي تلد الشمس مرة كل يوم[٥]. وقد انعكست احداث العديد من الاساطير حول ايزيس وزوجها اوزيريس وابنهما حورس، فالأسطورة في شكلها الأساسي الاول ربما اعتمدت على احداث حقيقية تذكر ان اوزيريس قد اغتيل بيد اخيه ست، ولقد قامت كل من اختيه ايزيس ونفتيس بتجميع اشلاء جثمانه، ثم قامت ايزيس بإحياء زوجها واخيها لدرجة انها حملت منه، وبعد

(١) مانفريد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة: صلاح الدين رمضان، مراجعة: د. محمود ماهر، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٧.

(٢) سيد القمني، رب الثورة اوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة، ط٢، المركز المصري لبحوث الحضارة، مصر، ١٩٩٩م، ص ١٥٧.

(٣) ايتين درويوتون و جاك فانديبه، مصر، ترجمة: عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص٧٠.

(٤) واليس بدج، الديانة الفرعونية، ترجمة : نهاد خياطة، دار علاء الدين للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٢٨.

(٥) أدولف أرمان، ديانة مصر القديمة – نشأتها وتطورها ونهايتها في اربعة الاف سنة، ترجمة: عبدالمنعم ابو بكر ومحمد انور شكري، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٩.

ذلك وضعت ابنها حورس الذي تصارع مع عمه ست ليأخذ حقه بأن يخلف اباه على العرش(١).

اما اوزيريس فهو الاسم اليوناني للإله اوزير، وكان اوزير في مصر القديمة هو سيد الابدية، ورب الموتى والعالم الاخر، وكان احد قطبي الديانة المصرية القديمة، اذ كان احد قطبي العقيدة المصرية القديمة التي تقاسمها كل من المعبود اوزير (العقيدة الاوزيرية)، والمعبود رع (العقيدة الشمسية)، وقد ارتبط اوزير بتاسوع عين شمس وذلك كابن لرب الارض جب وربه السماء نوت وكأخ للمعبود ست والمعبودتين نفتيس وايزيس(٢).

عندما كبر ابن اوزيريس حورس، وتحدى ست – Set لينتقم لأبيه وفي النهاية حصلت معركة كبيرة انتصر فيها حورس فيما حاول ست اتهام اوزيريس امام مجلس الآلهة، ولكنهم أعلنوا في النهاية بأن اوزيريس هو صاحب الحق ، ووصفوه بالعادل، وجعلوه قاضياً، وملكاً للموتى في العالم السفلي. وفي ذلك الوقت اعتلى حورس عرش والده وأعيدت له عينه التي أصيبت في المعركة ، إذ أعادها له إله القمر، وصادق على خلافته لأبيه في مدينة هليوبوليس، وصار حورس المثل الأعلى لحب الابن لأبيه ، ومضرباً للأمثال بالتضحية وتحولت عينه إلى الهلال(٣).

كان أوزيريس وإيزيس معبودين يعبدهما الفراعنة طوال العهد الفرعوني و في العصرين اليوناني و الروماني(٤)، وكان اوزير إلهاً للزراعة نظراً لأن الأسطورة تقول أنه تم تقطيع جسده إلى اثني و أربعين جزءاً وتم توزيعها على أقاليم مصر الاثني و أربعين و تم دفنه في مصر كلها و أيضاً يعرف أنه كان سيداً للعالم الآخر و رئيساً لمحكمة الموتى التي

(١) جون بينز وآخرون، الديانة في مصر القديمة،...، ص٦٧.

(٢) عبدالحليم نور الدين، الديانة المصرية القديمة،...، ص١١٤.

(٣) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٣ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦م ج٢ ، ص ٩٠.

(4) John. H, Clifford, The standard History of the world by Great Historians, New York , 1907, p 97.

تقوم بمحاكمة المتوفى على أعماله في الدنيا فتحكم عليه إما بالنعيم الأبدي أو بالعذاب الأبدي، كما ان أسطورة إيزيس و أوزيريس هي قصة من قصص الصراع بين الخير و الشر، حيث يمثل أوزيريس الخير و يمثل أخوه ست الشر و حين قتل ست أخاه أوزيريس كان هذا إشارة إلى أن الشر قتل الخير في البداية، و حين انتصر حورس بن أوزيريس على عمه ست كان هذا إشارة إلى انتصار الخير في النهاية(١).

تنص الاسطورة حين كان أوزيريس إلهاً للخير ورمزاً للخصب في عقيدة المصريين القدماء، وقد ورث ملك "رع" وأصبح إله كل شيء في العالم، وقد تزوج أخته إيزيس التي كانت خصبة وزواجها مثمراً، بينما أختها الإلهة نفتيس التي تزوجت ست إله الشر كانت عقيمة لا تلد، فدبّت الغيرة في أوصالها وأرادت أن تكون خصبة كإيزيس، وظنت أن سبب عقمها يرجع إلى ست الذي يمثل الأرض الجدباء. وكان ست يبغض أخاه أوزيريس وأراد أن يمكر به فدبّر له مكيدة لاغتياله، فأقام له حفلاً مع بعض الآلهة الأخرى، وأعد تابوتاً جميلاً كسوته من الذهب بحجم الإله الشاب وحده، وأقبل ست وزعم أن هذا التابوت هبة منه لأي إله من الحاضرين يصلح لأن يكون مرقداً له، وهكذا استلقى كل إله في التابوت ليجرب حظه دون جدوى، إلى أن جاء دور أوزيريس وما أن رقد فيه حتى أغلق الآلهة عليه الغطاء، ثم ألقوا التابوت في نهر النيل، وطفا حتى بلغ البحر الأبيض المتوسط وهناك حملته الأمواج إلى الشاطئ الفينيقي (لبنان) فرسى عند مدينة (بيبلوس) ونَمَتْ على الشاطئ شجرة ضخمة احتوت التابوت(٢).

وكان في تلك المدينة ملكة جميلة هي الإلهة عشتروت، حيث خرجت إلى الشاطئ تتريض، وحين أبصرت الشجرة أمرت بقطعها وإقامة عمود ضخم من جذعها في وسط قصرها، ولما علمت إيزيس بمصير زوجها وهي من مصر أخذت تبحث عنه في كل مكان، واستبدت بها الأحزان، وكانت كلما هطلت الدموع من عينيها غزيرة تتساقط في

(1) James, Baikie, The Ancient East and its story, London, without date, p. 54.

(٢) سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٤، ص ص٥٣٨- ٥٤١.

النيل فتمتزج بمائه فيفيض، فقد كان الفراعنة يعتقدون أن دموع ايزيس هي سبب فيضان النيل وأخيراً استدلت إيزيس الإلهة الجميلة على مكان زوجها ومضت إلى (بيبلوس) وهناك دخلت القصر واتخذتها الملكة نديمة لها ومرضعة لوليدها. وكانت إيزيس في تلك المدة قد اتخذت صورة النسر– رمز الحياة – وحوّمت حول العمود العظيم القائم وسط القصر، وطافت بجثة زوجها وأخذت تناجي روحه، فتحولت بقوتها السحرية إلى روح ترى من أمامها ولا يراها أحد، ثم حدثت المعجزة فقد حملت إيزيس بالروح دون أن يمسها بشر، حملت في أحشائها الطفل حورس وهربت به في أحراش الدلتا إلى أن كبر فحارب الشر وانتقم لأبيه وخلّص الإنسانية من شرور عمه ست فسماه المصريون حينذاك (الإله المخلص) [١]. وأرادت الملكة أن تكافئ إيزيس فسألتها عن بغيتها فطلبت منها جذع الشجرة الذي يحوي زوجها فأعطته لها وأخرجت التابوت منه، وحملته مسرورة ثم وضعته في سفينة وأبحرت به إلى مصر، وهناك استلقت على جثة زوجها الهامدة، ونفخت فيها من أنفاسها مستعينة ببعض الآلهة، فردت إلى الميت الحياة، ثم ارتفع أوزيريس بعد ذلك إلى السماء واعتلى العرش في العالم الآخر.

كانت أسطورة إيزيس وأوزيريس ذات أهمية بالغة في الديانة المصرية القديمة، كما كانت شائعة بين عامة الشعب، ومن أسباب شيوع هذه الأسطورة استنادها إلى معنى ديني، وهو أن أي ميِّت يمكن أن ينعم في الآخرة، اما السبب الاخر لشيوع هذه الأسطورة هو كَون الشخصيات والمشاعر فيها أقرب إلى حياة الناس الواقعية من أي أسطورة مصرية أخرى، مما يجعل القصة تروق للذوق الجماهيري العام بشكل أكبر، حيث يقول عالم المصريات ج. جوين جريفثس في حديثه عن العلاقة بين ايزيس واوزيريس وحورس، فالأسطورة تنقل على وجه الخصوص "إحساسًا قويًا بالولاء والتفاني داخل العائلة، وبهذه الجاذبية الكبيرة، تظهر هذه الأسطورة أكثر من أي أسطورة أخرى في النصوص القديمة.

(١) سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد ....، ص ص٥٣٨– ٥٤١.

الخاتمة:

تناول بحثنا هذا اثنين من اشهر اساطير العالم القديم والتي مثلت الصراع الأزلي بين ثنائيات مثل الخصب والقحط، المطر والجفاف، النور والظلام، والأهمّ هو الموت والحياة، والتي شغلت العالم القديم بأسره. ففي اسطورة عشتار جاءت فرضية التضحية حين نزلت عشتار إلى العالم السفلي ثم عادت إلى الأرض و معها اعادت الحياة لزوجها تموز حيث كانت هذه القصة محوراً أساسياً في الدين البابلي لفترة طويلة، لأن هبوط عشتار مثّل أول ملحمة إنسانية حول موضوع الإله الفادي، حين قامت عشتار بتضحية اختيارية في هبوطها إلى العالم السفلي وما صاحبه من مخاطرة.

ان اسطورة عشتار مثلت سبقاً لكثير من الاساطير الاخرى او حتى تتطابق معها كما حدث مع عدد من الاساطير السومرية والآشورية والبابلية والآرامية والفينيقية والكنعانية، ولذلك فقد انتجت شجرة الوعي في الثّقافة أو الحضارة المصريّة القديمة اسطورة اخرى وهي التي تسرد نزول الإلهة إيزيس إلى العالم السفلي، عالم الأموات، ومن ثم بعث زوجها الإله أوزيريس.

لقد ادرك كثير من الباحثين ان جميع (العشتارات) من أصل واحد، وهذا يعود بالبشرية الى عهد براءتها الأولى والى الأم او المرأة المضحية او الفادية وحين كانت هي القائدة والرائدة وغارسة بذور النماء والمحبة، فعشتار السومرية، وهي أولهن، هي عشتار البابلية، وايزيس المصرية، وعشتروت الفينيقية، وارتميس اليونانية، وديانا الرومانية، وحتى عرب الجاهلية كان عندهم عشتارهم وهي العزى التي لازمتهم بضعة قرون.

فالسلم والرخاء والخصوبة والمحبة والحنان والتعاطف والدفء من ابرز صفات الانثى الاولى التي حملها لنا التاريخ القديم في وداي الرافدين ووادي النيل، فأسطورة الإلهة الانثى التي جسدتها عشتار وايزيس تعلمنا انه ما من شيء يضيع، فبين المنبع والمصب رحلة شاقة، ومضنية، وان نظريات الخلق والتكوين والنشأة الاولى التي تصورها العراقيون والمصريون القدامى انما بنيت في عالمهم على اكسير اسمه الحب، هذا الاكسير استعادت به ايزيس اوزيريسها وأحيت به عشتار تموزها.

المصادر

المصادر العربية:

(١) أكرم محمد الكسار، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد– كلية الآداب، ١٩٨٢م.

(٢) أندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٧م.

(٣) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م.

(٤) صالح جبر القريشي، التفسير الديني في المعتقدات العراقية والمصرية القديمة، كلية العلوم الاسلامية، جامعة كربلاء، دت.

(٥) ماريو توسي وكارلو ريو ردا، معجم آلهة مصر القديمة، ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد، مراجعة: محمود ماهر طه، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٦) بثينة ابراهيم مرسي، تطور الديانة المصرية القديمة من خلال لوحات النذور والهبات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

(٧) صقر محمد سند، الديانة المصرية القديمة، بحث غير منشور، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠١٢م.

(٨) شارل سنيوبوس ، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، ط١، الدار العالمية للكتب والنشر، مصر، ٢٠١٢م.

(٩) أندريه ايمار و جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديمة، ط٢، منشورات عويدات للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م.

(١٠) جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، مركز الإنماء الحضاري للنشر، حلب، ٢٠٠٥م.

(١١) برهان الدين دلّو، حضارة مصر والعراق، الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م.

(١٢) نور الدين حاطوم ونور الدين بن محمد اديب، موجز تاريخ الحضارة، مصر، ١٩٦٤م.

(١٣) مهاب درويش، الفكر الديني في مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، د. ت.

(١٤) انيس فريحة، دراسات في التاريخ، جروس برس، لبنان، ١٩٩١.

(١٥) حسان حلاق، ملامح من تاريخ الحضارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩١م.

(١٦) شارل فيروللو، اساطير بابل وكنعان، تعريب: ماجد خيربك، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩٠م.

(١٧) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩م.

(١٨) نادية زياد محمد سلمان، تجليات عشتار في الشعر الجاهلي، اطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٥م.

(١٩) احمد محمد البربري، السماء في الفكر المصري القديم، ط١، الحضري للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢٠) طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦م.

(٢١) زيد خلدون جميل، اسطورة الآلهة تموز وعشتار الخالدة، بحث منشور، ٢٠١٥م، http://www.alquds.co.uk/?p=365617

(٢٢) فراس السواح، لغز عشتار: الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ١٩٨٥م.

(٢٣) فاضل سوداني، هبوط سيدة الانوثة الى العالم السفلي، بحث منشور، كوبنهاكن: http://www.mesopot.com/old/adad2/huboutsayadet.htm

(٢٤) عبدالحليم نور الدين، الديانة المصرية القديمة، الجزء الأول (المعبودات)، ط٢، القاهرة، ٢٠١٠م.

(٢٥) إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية، الوحدانية والتعدد، ترجمة: محمود ماهر و مصطفى ابو الخير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

(٢٦) جون بينز وآخرون، الديانة في مصر القديمة، ترجمة وتقديم: محمود طه ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.

(٢٧) مانفريد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة: صلاح الدين رمضان، مراجعة: د. محمود ماهر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٢٨) سيد القمني، رب الثورة اوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة، ط٢، المركز المصري لبحوث الحضارة، مصر، ١٩٩٩م.

(٢٩) ايتين درويوتون و جاك فانديبه، مصر، ترجمة: عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت.

(٣٠) واليس بدج، الديانة الفرعونية، ترجمة : نهاد خياطة، دار علاء الدين للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

(٣١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٣ ، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦م.

(٣٢) سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٤م.

المصادر الاجنبية:

(33) Wallis Budge, The Gods of The Egyptians, Volume I., Methuen & Co., London, 1904.

(34) Bothwell Gosse, The Civilization of The Ancient Egyptians, T. C. & E. C. Jack Ltd., London, without date.

(35) Barbara Mertz, Temples, Tombs and Hieroglyphs: A Brief History of Ancient Egypt, London, 1964.

(36) John. H, Clifford, The standard History of the world by Great Historians, New York , 1907.

(37) James, Baikie, The Ancient East and its story, London, without date.